شرح العقيدة الواسطية

الدرس الثالث

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله؛ أما بعد

فكنا قد ذكرنا في الدرس الماضي أركان الإيمان الستة التي يؤمن بها أهل السنة والجماعة، ومن هذه الأركان: الإيمان بالله، ومن الإيمان بالله: الإيمان بأسمائه وصفاته، ومن أجل كثرة الانحراف في هذا الباب- في زمن المؤلف وغيره- أفردَ له المؤلف ذكراً؛ فقال:

(وَمِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ: الإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ مُحَمَّدٌ ﷺ)

قوله: (ومن الإيمان بالله) أي الذي تقدم، وذكرنا أن من الإيمان بالله: الإيمان بوجوده، والإيمان بألوهيته، والإيمان بربوبيته، والإيمان بأسمائه وصفاته؛ لذلك قال المؤلف هنا: (وَمِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ الإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ مُحَمَّدٌ ﷺ) فالإيمان بالصفات من الإيمان بالله تبارك وتعالى، والمقصود بالصفات هنا صفات الله التي أثبتها لنفسه في الكتاب أو في السنة، والظاهر أن المؤلف رحمه الله لم يذكر الأسماء لقلّة الخلاف فيها، نعم قد وقع خلاف فيها، خالفت الجهمية فنفتها؛ ولكنّ أكثر الخلاف كان في باب الصفات؛ لذلك ركّز المؤلف رحمه الله على هذا الجانب من جوانب الإيمان؛ فقال: (وَمِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ: الإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ)، إذن يجب علينا أن نؤمن بكلّ ما وصف به الله تبارك وتعالى نفسه، أو بما وصفه به نبيه ﷺ؛ فمن عقيدة أهل السنة والجماعة في الصفات: أننا نصف الله تبارك وتعالى بما وصف به نفسه في الكتاب أو في السنة، فأمر الصفات أمرٌ غيبي لا يُدرك إلّا بالنّص من الكتاب أو

من سنة النبي ﷺ، فإذا جاء الوصف في الكتاب أو في السنة؛ آمنَّا به كما ذكر المؤلف: (وَمِنَ الإيمَانِ بِاللهِ:الإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ مُحَمَّدٌ ﷺ)، ولا مدخل للعقل في باب صفات الله تبارك وتعالى؛ لأننا ذكرنا بأنّ الصّفات من الأمور الغيبية، والأمور الغيبية لا تُدرك إلّا بالنّص من الكتاب أو من سنة النبي ﷺ، أمّا العقل فلا يُمكنه إدراك كلّ ما يجب لله تبارك وتعالى من صفات، نعم يدرك العقل بشكل مجمل بدون تفصيل أنّ الله سبحانه وتعالى يستحق صفات الكمال ولا تليق به صفات النقص؛ لكن على وجه التفصيل لا يُمكن للعقل أن يُدرك جميع الصفات التي تليق بالله تبارك وتعالى أو التي لا تليق به؛ هذه عقيدة أهل السنة والجماعة، وسيأتي مزيد تفصيل فيها من كلام المؤلف رحمه الله.

وأما نحن فلا نتجاوز ما جاء في الكتاب والسنة خلافاً للمبتدعة الذين يصفون الله تبارك وتعالى بعقولهم ويجعلونها حاكمة على صفات الله تبارك وتعالى، فما وافق عقولهم؛ أخذوا به، وما خالف عقولهم؛ تركوه ونفوه، حتى لو كان هذا المخالف لعقولهم موجوداً في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ، فقاعدتهم الأساسية التي من خلالها نفَوا الكثير من صفات الله تبارك وتعالى: أنّ العقل يُدرك ما يليق بالله ومالا يليق به بالإجمال والتفصيل، كذلك: أنّ العقل مقدم على النقل في إثبات صفات الله تبارك وتعالى، عندهم العقل مقدم على النقل -على الكتاب والسنة-، فإذا حصل اختلاف في نظرهم بين العقل وبين النقل؛ فالمقدم العقل؛ لأنّ العقل عندهم دلالته دلالة يقينية والنقل دلالته دلالة ظنية؛ وبهذه القاعدة التي قعّدوها هدموا أركان الشريعة، هدموا أركان الدين، فالقرآن والسنة صار عندهم مذبذباً وليس قوياً في الدلالة كقوة العقل، لذلك إذا خالف القرآن والسنة العقل؛ يُقدم العقل- هذا في ظنّهم-، مع أنّ العقل الصريح عند أهل السنة والجماعة لا يمكن أبداً أن يُخالف النقل الصحيح؛ لا يمكن أن

يتعارضا، ولكن عقول الكثير منهم لمّا كانت عقولاً معكوسة منكوسة؛ خالفت كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وإلّا لو كانت عقولهم صافية وصحيحة؛ لتوافقت مع أدلة الكتاب والسنة، ولو سلّمنا بأنّ العقل يُخالف النقل؛ فكان يجب الرجوع إلى النقل؛ إذ من الذي يعرف ما يليق بالله وما لا يليق به؟ وما هو متصف به وما ليس بمتصف به؟ أهو أدرى بنفسه أم نحن وعقولنا أدرى به؟ هو أدرى بنفسه سبحانه وتعالى، وأدلة الكتاب والسنة كثير منها يقيني، قطعي لا شك فيه ولا يُخالف العقل الصريح كما ذكرنا؛ فهذه القاعدة الأساسية هي سبب كلّ الفساد والدّمار الذي ألحقه المتكلمون بشريعة الله تبارك وتعالى؛ القاعدة الأساسية عندهم: أنّ العقل مقدم على النقل.

ثم قال المؤلف رحمه الله: **(مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفِ)**

نحن نؤمن بما وصف الله تبارك وتعالى به نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف، والتحريف: هو التغيير، وهو إمالة الشيء عن وجهه؛ يُقال: انحرف عن كذا إذا مال عنه، والتحريف نوعان: تحريف لفظي وتحريف معنوي.

التحريف اللفظي: هو أن تُحرِّف نفس اللفظ، كقول أحد الضلّال عندما أراد أن ينفي دلالة آية من الآيات على ما يُخالف اعتقادَه حرّف الآية في قول الله تبارك وتعالى: {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} هو ينفي أنّ الله سبحانه وتعالى يتكلم، ولا يؤمن بهذا، فصفة الكلام عنده منفية، لا يثبتها، وهذه الآية دلالتها صريحة في إثبات صفة الكلام لله تبارك وتعالى، فأراد أن يتخلص منها؛ فماذا فعل؟ قرأ الآية: وكلَّم اللهَ موسى تكليماً، غيّر الضمة إلى فتحة، فكان الفاعل والمتكلم هو الله وصار المتكلم هو موسى، وحرّف الآية تحريفاً لفظياً فغيّر اللفظ؛ هذا التحريف اللفظي، فمال بالآية عن حقيقتها في اللفظ.

وأمّا التحريف المعنوي: فهو تغيير المعنى المراد من الكلمة إلى معنى آخر؛ كقول الله تبارك وتعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} فإذا قلت: معنى {اسْتَوَى} هنا: استولى؛

هذا تحريف في المعنى، والمعنى الحقيقي لاستوى: علا وارتفع، كما قال أبو العالية الرياحي- وقد أخذ العلم عن سبعين من أصحاب رسول الله ﷺ، وهو إمام في العلم، من أئمة التابعين-؛ فقد فسر الاستواء بالعلّو والارتفاع، وهذا المعنى الحقيقي لكلمة استوى، ولا تأتي استوى أصلاً في مثل هذا السياق بمعنى استولى، وإلّا فكيف يكون استوى بمعنى استولى، ويكون استولى على العرش ولم يستولِ على غيره، إذا كان معناها استولى، فلماذا خُصّ العرش بالذكر، والله سبحانه وتعالى ملك كلّ شيء، وليس العرش فقط، هذا لو سلّمنا أنّها بهذا المعنى، مع أنّ معنى كلمة استولى أي أنّه كان في ملك الغير ثم هو استولى عليه منه؛ فنفس الكلمة أصلاً في معناها باطل، لكن هم ليست هذه قضيتهم، هذه كانت عندهم مشكلة أصلاً؛ الآيات هذه عندهم لا يُؤخذ منها اعتقاد، لذلك عندما تأتي هذه الآيات فتُخالف عقيدتهم يحاولون الخلاص منها بأي طريقة؛ فطريقتهم هذه ليست تفسيراً حقيقياً للآية، وليس همهم إخراج معنى حقيقياً؛ إنما همّهم أن يتخلصوا من دلالة هذه الآيات.

طريقة المبتدعة والمحرفين لدين الله تبارك وتعالى الذين يريدون أن يتخلصوا من دلالة الأدلة المحكمة؛ أحد الطريقتين:

إمّا التضعيف، أو التحريف.

أما القرآن فليس فيه مجال للتضعيف؛ فلا يبقى لهم إلّا التحريف المعنوي هذا؛ التحريف اللفظي ما يتجرأ عليه إلّا من قد أعمى الله بصره وبصيرته، أمّا التحريف فيكون في الغالب المحرف واقعاً في التحريف المعنوي، فبالنسبة للآيات القرآنية فلا مجال لتضعيفها؛ فماذا يفعلون؟ فما يبقى إلّا تسليط سيف التحريف عليها؛ أمّا الأحاديث فالمجال عندهم للخلاص منها أوسع وهو التضعيف.

وهذا عندهم بناء على القاعدة التي ذكرناها وهي أنّ دلالة الكتاب والسنة ظنّية، فإذا تعارض عندهم العقل مع النقل؛ فماذا يفعلون؟

يُسلّطون التحريف على السنة أيضاً، إذا ما استطاعوا تضعيفها؛ يُحرّفونها كما يُحرّفون القرآن؛ بدعوى قولهم: العقل يقيني، فإذا قرر العقل شيئاً؛ إذن يجب أن نوّجه الآيات والأحاديث كي تتناسق وتتناسب مع العقل؛ هذا هو دينهم.

لو قلنا لهم سلّمنا لكم بهذا؛ فعقل من الذي نريد أن نرجع إليه؟ أهو عقل الجهميِّ؟ أم عقل المعتزلي؟ أم عقل الماتريدي؟ أم عقل الأشعري؟ أم غيرهم من أصحاب العقول المنحرفة، أنتم كلكم تدّعون بأنّ العقل هو الذي يقرر الأسماء والصفات جميعاً، وتقولون في نفس الوقت بأنّ العقل دلالته يقينية على مثل هذا، ثم تختلفون؛ هذا يُثبت شيئاً والآخر ينفيه؛ فإذن كيف صار العقل يقينيا وأنتم في أنفسكم تختلفون فيه؛ فهذا كلّه من الباطل الذي يتبين من فعلهم.

إذن أهل السنة والجماعة يُثبتون الصفات التي ثبتت لله في الكتاب والسنة من غير تحريف، لا تحريف لفظي ولا تحريف معنوي؛ هذا التحريف المعنوي يسمونه: تأويلاً، والصحيح أنه تحريف؛ فاسم التحريف أنسب به من اسم التأويل، لأنّ التأويل يُطلق على ثلاثة معان:

المعنى الأول: التفسير.

المعنى الثاني: ما يؤول إليه الأمر.

وهذان معنيان شرعيان، ورد ذكر التأويل بهذين المعنيين في الشرع.

أمّا المعنى الثالث: فهو صرف اللفظ عن ظاهره لدليل شرعي أو لقرينة.

فإذن اللفظ يكون له ظاهر؛ لكن لا يجوز صرفه عن ظاهره إلّا أن يوجد دليل، فعندما يأتي الواحد منهم ويقول: معنى قول الله تبارك وتعالى: {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ}

معناها: النعمة أو القدرة؛ ماذا نقول له؟ نقول له هذا خلاف الظاهر، الظاهر عندنا في اليد بأنّها اليد الحقيقية، صفة لله تبارك وتعالى، فإذا أردت أن تصرف هذا الظاهر عن حقيقته؛ وجب عليك أن تأتي بدليل، هم الدليل عندهم العقل، ونحن لا نقبل بالعقل، نقبل بدليل شرعي، عندك دليل من الكتاب أو من السنة أخذنا به؛ وإلّا فلا، عندما جاءنا قول الله تبارك وتعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ} ظاهر هذه الآية أنّ الظلم المقصود به: الظلم العام؛ ظُلم الإنسان لنفسه، ظلم الإنسان للآخر، لكن إذا جاء أحد المفسرين وقال: المقصود بالظلم هنا الشرك، هو صَرَف اللفظ عن ظاهره؛ فنقول له: هات الدليل؟ يقول الدليل: جاء في الصحيح أنّ الصحابة لمّا ذُكرت هذه الآية قالوا للنبي ﷺ: (وأيُّنا لا يظلم نفسه)؛ فقال النبي ﷺ: "لَيْسَ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ الشِّرْكُ أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ {يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}؟"، إذن جاءنا بدليل شرعي قبلنا منه ذلك؛ صَرَف اللفظ عن ظاهره، وإذا لم يأت بدليل شرعي؛ لا نقبل منه، يدّعي العقل، نقول له عقلك يُخالف عقولنا، يُخالف عقل الجهمي، يخالف عقل المعتزلي؛ فلا يصحّ أن نقبل مثله في مثل هذا الموضوع، فلا يُسمى مثل هذا تأويلاً وإنّما يُسمى تحريفاً؛ لأنّه لا يوجد عليه دليل لا من الكتاب ولا من السنة.

ثم قال: **(وَلاَ تَعْطِيلٍ)**

نُثبت لله تبارك وتعالى ما أثبت لنفسه من أسماء ومن صفات من غير تحريف ولا تعطيل.

ما معنى التعطيل؟ التعطيل معناه: إنكار ما أثبت الله لنفسه من الأسماء والصفات، يقول الله سبحانه وتعالى: {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ} فيقول القائل: الله سبحانه وتعالى ليست له يد؛ هنا نقول: قد عطّل النّص الشرعي، عطّل صفة الله تبارك وتعالى ولم يُثبتها، أصل التعطيل بمعنى التخلية والترك، ترك الصّفة ولم يثبتها.

هل هناك فرق بين التعطيل والتحريف؟

يقول أهل العلم: التحريف في الدليل والتعطيل في المدلول.
كيف يكون التحريف في الدليل؟
قال الله تبارك وتعالى: {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ}؛ فيقول المعطِّلُ المحرّف: بل قوتاه، فيُفسّر اليد بمعنى القوة؛ هذا مُحرّف للدليل الشرعي، ومُعطّل للمراد الصحيح.
وإذا قال: أنا لا أثبت اليد الحقيقية، أُفوّض هذا اللفظ الذي معي إلى الله؛ أي: لا أدري معنى اليدين في الآية، وأفوّض معناهما إلى الله؛ هل هذا حرّف؟ لم يُحرّف، أثبت؟ لم يُثبت؛ فهو معطّل، أمّا الأول فقد جمع بين التحريف والتعطيل؛ لأنّه فسر اليدين بالقوة، فحرّف المعنى- غيّره-، وفي نفس الوقت لم يُثبت اليدين لله تبارك وتعالى فهو مُعطّل؛ إذن هناك فرق بين التحريف والتعطيل، وأهل السنة لا يُحرّفون ولا يُعطلون.
التحريف والتعطيل طريقان سلكهما طائفتان من الأشاعرة:
طائفة تُحرّف وتُعطّل.
وطائفة أخرى تُعطّل ولا تُحرّف.
الأولى: يُسمّون أنفسهم المؤولة وهم المُحرّفة، والثانية يُسمّون أنفسهم المُفوّضة، لماذا سُمّوا مفوّضة؟ لأنّهم يُفوّضون المعنى إلى الله، لا يُثبتون معنى للصفات، {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ} يقول: أنا أؤمن بهذا {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ}؛ لكن ما معنى اليد؟ يقول: لا؛ لا نعرف معنى اليد، نفوّض أمرها إلى الله سبحانه وتعالى، كذلك صفة العينين يقول: نحن نؤمن بالآية بلفظها لكن المعنى نُفوّضه إلى الله سبحانه وتعالى، أما أهل السنة فيقولون: بل نُثبت المعنى، هما عينان حقيقيتان نثبتهما لله تبارك وتعالى، والمُحرّفة يُحرّفون الصفة ولا يُثبتونها ويعطونها معنى آخر، يقولون: نحن نفهم المعنى ونعرفه، الاستواء معناه الاستيلاء، فلا يُفوّضون المعنى؛ يقولون: المعنى مفهوم واضح، معناه الاستيلاء، ولكنّهم لا يثبتون المعنى الحقيقي الذي أراده الله تبارك وتعالى؛ فهم يُثبتون معنى مُحرّفاً؛ هؤلاء يُسمّون أنفسهم المؤولة، وأولئك يُسمّون أنفسهم المُفوّضة، ويَنسب

الأشاعرة مذهب التفويض للسلف؛ لذلك عندك أشاعرة مُتبعون للسلف وهم المُفوّضة وأشاعرة مُتبعون للخلف وهم المُحرّفة؛ هكذا يَدّعون؛ لكن حقيقةً التفويض ليس مذهباً للسلف، مذهب السلف هو الإثبات، هو الذي نقرأه وندرسه الآن؛ إثبات الأسماء والصفات التي أثبتها الله لنفسه في الكتاب وفي السنة من غير تحريف ولا تعطيل، نثبت المعنى، أهل السنة يُفوّضون الكيف، لا يُفوّضون المعنى، والمُفوّضة يُفوّضون الكيف والمعنى؛ هذا الفرق بين المفوضة والسلف.

هم يدّعون بأنّ التفويض مذهب السلف، نقول: هذا باطل، تفويض الكيفية هو مذهب السلف، أمّا المعنى؛ فلا، كما قال الإمام مالك رحمه الله عندما جاءه رجل وسأله عن الاستواء: كيف استوى؟ قال: (الاستواء معلوم)، فكيف تنسبون التفويض إلى مذهب السلف وهذه لفظة واضحة وصريحة من الإمام مالك، يقول لكم الاستواء معلوم، ليس مجهولاً كمّا تدّعون أنّه مذهب السلف، قال:(والكيف مجهول) هذا الذي فوّضه السلف، (الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة) أي: السؤال عن الكيف، وسيأتي الحديث عن الكيف.

فأهل السنة يُثبتون الأسماء والصفات التي أثبتها الله لنفسه في الكتاب وفي السنة من غير تحريف ولا تعطيل كما يفعل المتكلمون من أشاعرة ومعتزلة وجهمية وغيرهم، كلُّ هؤلاء أسماء فرق مختلفة لكن في النهاية هم يتفقون على قاعدة واحدة وعلى أساس واحد: وهو إثبات ونفي الأسماء والصفات بناء على العقل؛ هذا أصلهم، ثم يأتيك رجل مريض عقلياً ويقول: الأشاعرة من أهل السنة والجماعة، أأنت تعقل أم لا تعقل؟ أصولهم وأصول أهل السنة تختلف؛ كيف يجتمعون؟ هم عندهم أصل في ذلك يوافق أصل الجهمية والمعتزلة لا يوافق أهل السنة، انظر إلى الأصل الذي انطلقوا منه: أهو أصل أهل السنة أم أصل الجهمية؟

لذلك كان السلف يقولون عنهم جهمية، ما كانوا يقولون عنهم أهل سنة وجماعة، لمّا ظهرت الأمراض المتفشية في كثير من أهل هذا الزمن؛ بدؤوا يقولون الأشاعرة من

أهل السنة، لكن قديماً ما كان هذا القول موجوداً، كان عندهم أن الأشاعرة كلهم يُسمّونهم جهميَّة؛ لأنّهم يشتركون في أصل واحد؛ أصلهم ليس هو أصل أهل السنة والجماعة.

ثم قال رحمه الله: **(وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفِ)**

أي: لا يُكيّفون الصّفة إذا أثبتوها، يُثبتون لله يَدين، ويُثبتون له استواءً؛ لكن تقول للواحد منهم: كيف هو؟ يقول لك: الكيف مجهول والسؤال عنه بدعة؛ هذا أصل سلفي، أمور غيبية، هذه الأمور التي تسأل عنها أنت أمور غيبية، والأمر الغيبي كيف يُدرك؟ يُدرك بالأدلة، أخبرنا الله عن الصّفة ولم يخبرنا عن كيفيتها، عندما يُخبرنا الله سبحانه وتعالى؛ نخبرك، أو عندما نراه سبحانه وتعالى؛ نخبرك، هل للصّفة كيفية؟ نعم للصّفة كيفية؛ ولكننا نجهلها، هذا معنى من غير تكييف، لا يُكيّفون.

ما معنى التكييف؟ أن يسألك شخص عن الصّفة: كيف هي؟ تقول: كيفيتها كذا وكذا؛ هذا معنى التكييف، ونحن لا نُكيّف الصّفات؛ فنُثبت الصّفة من غير تكييف، تقول لي: كيف؟ أقول لك: الله الذي أخبرنا عن الصّفة ما أخبرنا عن كيفيتها؛ فنقف عند النّص، هذا هو اعتقاد أهل السنة والجماعة، وهذه القواعد التي نصص عليها السلف من القديم، تجد في القرآن والسنة الكثير من الأسماء والصفات، وتجد الصحابة يسألونك عن كذا يسألونك عن كذا؛ لكن ما تجد: يسألونك عن صفة الرحمة ما معناها؟ لماذا؟ لأن الرحمة عندهم واضحة لا تحتاج إلى تفسير، هؤلاء عرب أقحاح عندما تنزل الآية يفهمونها مباشرة، وما يُشكل عليهم يعرضونه على النبي ﷺ، فلو كانت هذه مشكلة لعرضوها على النبي ﷺ، لو كانت ظواهر معانيها ليست مرادة؛ لذكرها لنا النبي ﷺ، أيَعْقِلُ الواحد منهم أنّ نصوص الكتاب والسنة مليئة بمثل هذه الصفات وظواهرها غير مرادة ويسكت عنها النبي ﷺ. أو يسكت عنها ربنا ولا يُبيّنها لنا ولو في آية واحدة؟ هذا مستحيل، كيف الله سبحانه وتعالى يصف القرآن الكريم بأنّه بين وبأنّه واضح وبأنّه مُبيّن وأنّه مُظهرٌ للحقّ وبأنّه يُقيم به الحجّة على العباد، وأنّ النبي ﷺ

قد بيّن وما ترك شيئاً، حتى سلمان الفارسي يقول: "بيّن لنا النبي ﷺ حتى الخراءة"، أي: كيفية قضاء الحاجة، ويقول أبو ذر: "مات النبي ﷺ وما من طائر يطير في السماء يقلب جناحية في السماء إلّا وأخبرنا النبي ﷺ وذكر لنا منه ذكراً"[1]، وذكر غيره أنّ النبي ﷺ خطبهم يوماً من الصباح إلى المساء ينزل يصلي ويخطب ويتكلم، قال: "وذكر لنا في ذلك اليوم كلّ شيء، ذكره من ذكره ونسيه من نسيه"، الشاهد: أنّ كلّ الأمور بتفريعاتها الدقيقة- أمور الشريعة- التي نحتاج إليها قد ذُكرت وبُيّنت؛ ولا يذكر لنا هذا الأمر العظيم؛ الاستواء الذي ذُكر في القرآن الكريم في عدّة مواضع؟ لا يذكر لنا النبي ﷺ أنّ ظاهرها ليس مراداً ولو في موطن واحد؟ هذا من المستحيلات التي يتحدثون عنها، لكنّها البدعة وما تفعل بأصحابها.

قال: **(وَلاَ تَمْثِيلٍ)**

هي أربعة أشياء؛ نُثبت الصّفة مع أربعة لاءات: لا للتحريف، ولا للتعطيل، ولا للتكييف، ولا للتمثيل؛ هذه الأربعة منفية عند أهل السنة، يُثبتون الصّفة مع نفي هذه الأربعة.

(وَلاَ تَمْثِيلٍ) ما معنى التمثيل؟ أن تذكر للصّفة مِثلاً، تُماثلها؛ تقول لله يدين مِثل يدي فلان، هذا هو التمثيل، وهذا أيضاً منفي؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى قال: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} هذه الآية قاعدة عند أهل السنة والجماعة؛ إثباتٌ من غير تمثيل، قال: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} ثم بعد ذلك ماذا قال؟ قال: {وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} إذن نُثبت له الصّفات ونُثبت له الأسماء، ونقول هي لا تُماثل شيئاً من مخلوقاته، نحن لنا سمع؟ نعم لنا سمع، لنا بصر؟ نعم لنا بصر؛ لكن ليس السمع كالسمع، ولا البصر كالبصر، لله سمع يليق بجلاله وعظمته وله بصر يليق بجلاله وعظمته.

وما تقوله في الذّات فقُلْه في الصّفات- هذه قاعدة-، وهذه القاعدة من أعظم القواعد التي وقف أمامها المتكلمون حائرون، يأتيك يتكلم معك في الصّفات قل له مباشرة:

١- عند ابن حبان: (تَرَكَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَمَا طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا عِنْدَنَا مِنْهُ عِلْمٌ)

تُثبت ذاتاً لله أم لا تثبت؟ إذا نفى كفر، وإذا أثبت خُصِمَ؛ لأنّه إذا أثبت ذاتاً لله ونحن لنا ذوات؛ نقول له: هل الذّات كالذات؟ يقول: لا، ذات الله تليق بجلاله وعظمته ونحن ذاتنا تناسبنا، نقول له: فقل في الصفات ما قلت في الذّات، وينتهي الأمر.

لماذا تنفِ الصفات وتقول يلزم منها التشبيه؟ ومع ذلك تثبت الذات ولا يلزم منها التشبيه؟ ما يلزم هنا يلزم هنا، عندما تقول له: لله يدان، يقول: إذا أثبتّ لله اليدين فيلزم منها التشبيه؛ نقول له: قل في الصّفات كما تقول في الذّات، معنى ذلك إذا أثبتّ لله ذاتاً يلزم منها التشبيه، فللمخلوقين ذوات أيضاً، وإذا قلت لا يلزم هنا؛ فنقول لك قل هناك: لا يلزم أيضاً وانتهى الأمر.

هذه الحجّة العقلية عليهم، والحجج الشرعية كافية لنا، فالله سبحانه وتعالى أثبت هذه الصّفات كلها في كتابه وفي سنة نبيه، ولم تأت آية واحدة تقول لنا أنّ هذه الظواهر ليست مرادة، كذلك هذه الصفات بالجملة هي متواترة وما عندنا خبر واحد يدلنا على أنّ ظواهرها غير مرادة، إذن صرفها عن ظاهرها يُعتبر تحريفاً لكتاب الله تبارك وتعالى.

قال: **(بَلْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ سُبحَانَه وتعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ})**

يؤمنون بأنّ الله{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} فيه نفي للمثل، فلا تمثيل {وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} فيه إثبات للأسماء والصفات التي أثبتها الله تبارك وتعالى لنفسه من سمع وبصر وغير ذلك.

نكتفي بهذا القدر إن شاء الله.